

المقنن

الجن

عند غير العرب من امم الشرق والغرب

طالعنا في مجلة « المقنن » الغراء ما حاك بروده وطرزت بنوده براعة صديقتنا الابر الفاضل الشيخ جمال الدين القاسمي بتيمة اعلام دمهشق عن اعتقاد العرب في الجن وما ورد في اسفار الدين واشعار التابعين واقاصيص السلف من الاحكام والنوادر والآثار الحاكبة عنهم الآتية على وصفهم واحوالهم فراقنا منها حسن الثوب ودقة النقل وبراعة اللهجة ووضوح المنهاج وسعة الاستيعاب الى غير ذلك مما لا يستكثر في جانب ما هو مشهود من فضل الشيخ اعز الله وحدانا الاعجاب بما هنالك الى تحجير مقالة موجزة تكون لها كالكلمة تأتي على ما عند غير العرب من امم الشرق والغرب من امثال هذا الاعتقاد . وهو موضوع بكر لم يسور جداره فيما نظن مفترع قبل ولم يحم حوله فلم شرقي على ما اتصلت اليه مطالعاتنا حتى اليوم

ولقد بذلنا جهد المستطيع تنقيباً عن مواد المستثرة في ثنايا الصحف والمبعثرة في زوايا المطولات وتخيراً للاصح من المصادر والاصدق من الروايات فجاءت مقالتنا — على ما نعبده بذاتنا من الضعف — طرفة يرغب فيها وامنية يسعى اليها وما احراها ان تكون مع رسالة الشيخ سفرًا مستقلاً يرجع اليه عشاق الدراسة والاستبصار من ناشئة الوطن وادبائه فان اتيتم على هذه البغية كتم من المحسنين

تمهيد

كثير عداد من يزعمون ان العرب هم المتفردون دون سائر الناس في الاعتقاد بالجن اعتقاداً دينياً سنداً الى ما ورد في كتابهم الموحى من صريح النصوص القائلة بوجودهم — كما

في سورة الرحمن والاحقاف والجن — وتوارثا لما جاء في اقصيص الجاهلية مما دونه الثقات
واثبتته المؤرخون واتي على يانه الشيخ بحيث لم يبق مجالاً لتفصيل وتعليل . وفي ذلك الزعم
من الخطأ والوهم مالا يحتاج الى دليل فانك لو رجعت الى كتب الامم القديمة من كل بيئة
وجنس ومذهب لرأيت في تضاعفها ما يؤيد كون الاعتقاد بالجن كان منتشرًا بين
البشر مستفيضًا في كل قبيلة وفصيلة وشعب من اهل بهم المعمور من الارض شرقًا وغربًا
شمالًا وجنوبًا بادية وحضرًا لا يستثنى منه قوم ولا تهرأ منه أمة ولكن على تباين في الآراء
واختلاف ببعض الفروع

فالظاهر ان الاعتراف بوجود ارواح يتوقع شرها كالاترار بوجود آلهة يرحى خيرها
انما هو من مقتضيات هذا الكيان الانساني لا محيد عنه لكل ذي لسان ناطق يرشده
العقل الى انه من اهل الخلود وانه ضيفٌ محتازٌ في حكم هذا الوجود والا فبال الام
على تباعد انحائها واختلاف آرائها وتغاير مذاهبها وتناقض مشاربها تجمع على هذا الامر
اجماعًا باتا كان افرادها متواطون عليه — منذ كانوا في عالم الغيب — فكلهم يقول بالله
يثيب وشيطانات يكبد وجن تخيف ونفس بين ذلك تنازعها عوامل اليأس والرجاء
ويبدو لها انها بنت البقاء دون سائر ذوات الارواح التي ثقلها الغبرا وتظللها السماء وينعشها
الهواء وان كانت محاطة مثلهن باسباب الزوال محكومًا على هيو لاها المركب بالانحلال
وشخصها المتحركة بالجلود ثم الفناء

على هذا نشأت الناس وعلى هذا اجتاز عالمهم برزخي الحيوة والموت الوفا مؤلفة من
السنين قال بعضهم انها عشرات الوف وقال آخرون انها ملايين حتى جاءنا الطبيعيون
من متفلسفي هذا العصر — عصر الاكتشاف والاختراع — يجلسون على منصات
القاهرة والاساطين ويشدون مع ابي نواس شاعر العباسيين

ما جاءنا احد يخبر انه في جنة من مات او في نار

ويقولون مع ابي العلاء .

ومهما عشت في دنياك هذي فما تخليك من قر وشمس

تطحننا الابام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعادله سبك

وانه لاشيء في هذا الكون غير هذه المادة التي يتماورها التركيب والتحليل ويتداولها
الدور والتثليل — مع بقاء في الكم وتغيير في الكيف — وان القول بما وراء المادة

من قوة تدبير الحركات هي علة الموجودات منها استمد الناس ارواحاً سرمدية انما هو من
اوهام الواهمين وتخليط الجاهلين فما نحن وسائر من يتحرك بالارادة الامن ماء وطنين
ولا يحيينا ويميتنا الا الدهر !!

فاين هذا من ذاك ؟ وما هذا الانقلاب العجيب والانعكاس الغريب ؟ واية متفعة
من قول جعل العامة من الناس — وهم تدعى اشرارهم بل يزيدون — في اودية من الحيرة
يهيمون وفي ظلمات من التردد والشك يخطون لا يرون لانفسهم مما التوهم في مهاويه
مخرجا ولا هم يهتدون .

رويدك ايها العصر عصر الحضارة والنور . وتلى رسلكم يامعشر العلماء . ارباب
الحصافة والدكا . وحناتيكم يا من اكثروا من التعمق والتبحر . واسترسلوا في الاستقراء
والاستنتاج . وبحثوا في الجراثيم والذرات . وتكلموا عن الحويصلات والنقاعيات .
وبرهنوا على كون السديم اصل الكائنات . والانسان سليل نوع من القرودة او ما يشابهها
من ذوات الفقرات . ورحمكم يا صحاب « دارون » واولياء « سبنسر » واشياع « بنجر »
وتلامذة « هكل » وان كان فيكم فيلسوف « كفرشيا » وحكيم « وادي الفريكة »
ومتهموسو « وادي النيل »^(١) « انا ايم الله لسانا من يقف في سبيلكم فيما تدعون اسرارهم
من الاحكام والنواميس وتحاولون اجلاءه من الغوامض والمشكلات اخذاً عما تلقينه
عليكم الطبيعة أمكم وأمننا من الدروس والامثولات طبق ماتبعثكم اليه ميولكم واهواؤكم .
ولكن لنا كلمة نقولها الآن لكم جهراً بعد اذ كنا ننداؤها بيننا همساً ونهجس بها سرّاً فان
اصحتم اليها سمعاً واستوعبتم لها قلوباً وجريتم بمقتضاها بعد اليوم عددناكم كراماً وقلنا
سلاماً والا فما على من استحكت الابوخاندريا في معدة واستولت السوداء على دماغه
من سبيل

ليس من ينكر ان المصلح العاقل من هدى بعلمه لامن اضل . ومن اراح لامن اتعب
فياحبذا — يا اصحابنا — الجهالة انها خير من هذه المعرفة الناقصة التي تعجلتم بها الى
نقض الاديان وتلويض اركان العقائد وتمتين دعائم التعليل والجهود قبل ان تنضج
آراؤكم وتجمعوا على ما اليه ترمون وعليه تنهفون من بث بذور الكفر في القلوب وتعدكم
للطبيعة التي اصبحتم لكثرة دراستكم لها مناولكم علومها اعطى بها من جنود بونايرت بمدافعهم

(١) راجع رسالة « تعليم الامة » المثبتة في الجزء الرابع من مقتطف هذا العام وذيلها

اولئك الذين كانوا اكثر اصرارهم لها وتهوسهم باستعمالها والاحتفاظ بها يسعون بها
باحب الاسماء اليهم ويعاقبونها ويقبلونها كأنها من الغايات الفاتتات وكذلك انتم الآن
فان توفركم على تلك الدراسة وانصرفكم الى استيعاب دقائق الهيولي مستحكين الصامت من
قواها وعناصرها غير منفكين عن مناجاتها ومباغمتها آتاء الليل اطراف النهار قد استهويكم
واستدرجا بكم الى تأليه هذه المادة الجامدة حتى صرتم تحسبونها كل شيء وليس وراءها
شيء اقبلها شيء بحيث لو امكنكم ان تحذفوا منذ الآن من كل معاجم الارض ما حوته من
الالفاظ الدالة على الخلق والابداع والعمدية والقدرة والبعث والخلود لفعلتم

فيا اسفا على الهمجية اذا كان مأناكم هذا من نتاج المدنية وباحسرة على الجهالة
ان كان ذلك من مستلزمات العلم . افتركون الفأ وشتاتة مليون من الناس حائرين باثرين
لا يدرون بهم يعتقدون واية وجهة يتفخون فلا رأيكم تثبتون ولا عن قولكم ترجعون ؟؟؟
تالله اننا معكم لفي صفة مغبون وما انتم الا غادرون والا فما هذا التفري الذي يجعل كلاً
من افراد هذا المجتمع القومي يحيا بلا ضمير يسرق مستتراً وبطلب مخفياً ويقتل متوارياً
وينتحر قانطاً وما عليه من وجدانه قيم ولا من دينه زاجر ولا سيف الآخرة على زعمه
من تكبير !!!

لعمرك ان العامي الذي لا يتوقع في الآخرة عن عمله حساباً ولا يرجو عن حسناته
ثواباً ولا يخشى مهما تعددت سيئاته وتعاضمت كبائره عقاباً الا اذا كانت مشهودة من
الانام مثبتة لدى الحكام ثم يحسب ذاته في هذه الحيوة الدنيا كالتبات الفطري حتى اذا
مات لم يعد شيئاً مذكوراً . لا يلبث ان يكون لعة على الارض وسخطاً من السماء لا يخل
بالخطور والمباح ولا يبال بالحلال والحرام بل يقضم الاخضر واليابس ويحتاج العامر
والغامر وهو يقول « على الدنيا السلام »

فالعالم الحر يص على منفعة بني نوعه الدائب على خير قومه وبلاده من اشتغل بما يريد
من انواع العلوم ما يشاء على ما يشاء وان يعتقد انفسه بنفسه ما احب كيفما يحب لكن على
شريطة ان ينشط لثنتين اوتاد العقائد وتأليف شوارد المذاهب مع تنزيها عما لحقها
من الزوائد ولصق ببعضها من الخرافات ناركا للجاهل وازعاً من دينه يجنبه الموبقات
ورادعاً من ضميره بتكبه المنكرات وما ضر العاقل ان يكون ذا دين مثله مادام الدين
لا يكلفه الشغل ولا يعنته بكثرة التكاليف وقد اباحه من طريق الحلال كل ما منعه

عن طريق الحرام فلا يقفل في وجوه ملاذذ واما نيه الابواب ولا يطالبه باكثر مما يتقاضاه العقل ويرضى به الصواب

ان صح قولكما فليست بخاسر او صح قولي فالوبال عليكما
 او على الأقل يترك الاديان وشأنها والعقائد وحظها يتحارسها زعماءؤها ويصونها اثمتها
 وعلاؤها — فلا يتعرض لها ولم في اقواله ومنشوراته بما يبعث باليقين ويولد الشكوك
 ويبعث على الحيرة او المروق من نزغات ومعاريض وثرهات وادلة وبراہين واقاصيص
 لا قوام لها حتى اليوم الا النزق والسفسطة ولا ركن الا الخيال والهوس يراد بها التفرد
 بالشبهة فيما يخالف ما اجمع عليه الناس وان كان حقاً وتواطأت على وجوبه العقول وان
 كان صحيحاً غير مفكر بما يتجم عن اضاليه وسفاسفه من تشويش النظام وضياح الاحكام
 وانتشار القوضى والعود بالعالم الانساني الى الزمن الذي كان فيه آباؤنا يضارعون برابرة
 الاوقيانوس الهندي واواسط افريقية حالاً وقالاً وخلقاً واوضاعاً متصيداً باحاييله
 الابليسية وبهتانه المزخرف مافي حقائق بعض من أوتوا مالا ولم يرزقوا عقلاً من دينار
 مكتوز ثم ينفقه على تمثيل اسفار ورسائل يطبع منها الآلاف من النسخ ثم توزع على الناس
 — ولا سيما الناشئة الادبية منهم — مجاناً قصد اشراب قلوبهم تلك المبادي الفاسدة
 وايداع نفوسهم تلك الحماقات السخيفة الناس للشبهة على ما ألمعنا من طرق التعميم
 في الاذاعة والتوسع في الابلاغ كما فعل بعض هؤلاء المفتونين — بحج الطبيعة —
 هذه الايام ففعلت نفثاته السامة في ادمغة البعض مالا يتوقع العاقل بعده الا قيام دولة
 الشهوات وانتلال عروش الآداب وتقويض اركان الديانات وانتشار الاباحية والعدمية
 الى غير ذلك من يواعث الهلكة والانقراض والبوار لولا ان يأبى الله الا ان يعيد كيده
 الى شخره بان قيض له من اهل التبصرة والاعتبار والعلم الصحيح من يكشف عن بصائر
 اهل الغرور بما يريهم عياناً زيف درهمه وزغل ديناره فان الحق ابلج وضاح . والباطل
 لجلج فضاح وان كره الماكرون

بقول المتعنتون من هؤلاء الملاحدة المتخذلذين — سنداً على ما سجله التاريخ من انباء
 حروب وقتن واضطهادات^(١) كانت منشأها الظاهري التباين في المذاهب
 والاختلاف في الدين

(١) يريدون بذلك مناوآت القباصرة الرومانيين للدين المسيحي في بدء ظهوره
 وحروب الاصلاح في اوروبا والحروب الصليبية في آسيا وافريقية وقتن الخ لافاة في

ان الديانات ألفت بيننا إحنا وعلمتنا أفانين العداوات

فالدين أذن عدو النظام لانصيره بغيض السلام لاظهره !!!

نحن لانكر ان كثيراً من المشاغبات والفتن والثورات والحروب والغارات^{١١} أثرت
باسم الدين وثبت على حساب الدين ولكن من سبر غور الحقيقة بمسبار النزاهة والاخلاص
وتوفرت له سلامة الذوق وصحة الاستنتاج واصالة الرأي وعدالة الحكم علم — بعد
الاستقراء — علم اليقين ان الدين لم يكن المصدر الحقيقي لتلك الموبقات بل الباعث عليها
في الاصل والمؤدي اليها بالفعل — ماخلا الشاذ — انما هو شهوات الملوك ولبانات اولي
الحكومات وزنوات ارباب السلطات والزعامات الدين من دأبهم — ولا سيما في تلك
العصور المظلمة — — التذرع بآية وسيلة كانت — حتى التغاير الديني او المذهبي — لاثارة
الفتن واصلاء الحروب ارادة ان يثبأ لهم من جرائمها تمهين السلطة والتوسع في البسطة
والاستنفال في الملك تلبية لدواعي اطباعهم اللانهاية واشباعاً لنهماتهم اميالم النفسانية
فالمره لانتقصي آرايه ابدأ اذا انتقصي ارب يصبو الى ارب

ومن ذا الذي يتجرأ ان يقول ان ماينشأ عن سوء استعمال الدين انما هو الدين ???
لاجرم ان للحروب والفتن اسباباً جمّة قد يكون سوء استعمال الدين او التذرع
بالدين احداها وقد لا يكون وما ارباب السيادة من خدمة الدين وغيرهم الا بشر مثلنا
قد يسيئون في اورهم المعاشية وسياساتهم الادارية وقد يحسنون : فباثنا نلصق
بالدين — الذي هو من الله — ماينجم باسمه وعلى حسابه من مساوي الناس ؟
أفلا تفقهون !!

أجل : ان مطامع اصحاب العروش وتخالف العناصر وتباين الاجناس وطموح الامم
التي توفرت لها القوّة الى التلب على المستضعفين وزروعها الى التكاثر والاستزادة
سواء كان عن طريق الفتوح او الاستعمار او الدين هي هي لعمر الحق — في كل آن
وزمان — مصدر الفتن ومبعث الاحن وعلة العدوان ومنشأ الحروب التي مايرحت
مرافقة حيوة بني الانسان منذ اصبحوا دولاً واما جماعات حتى الآن وهي لاتبرح ولن
تبرح ملازمة لهم — ولكن على تباين بانكم والكيف — عملاً بناموس تنازع البقاء الى
صدر الاسلام ومذبة القديس برتلاوس في فرنسا والتفتيش الديني في اسبانيا وناهضة
مكرري تكريم الايقونات في الشرق والغرب الى غير ذلك من الفتن والحروب التي
ثبتت اولاً واخيراً باسم العقائد والبدع والمذاهب والدين

منتهى الدوران . ومن ماراني في ذلك تأتته من اقوال قهارة التاريخ واقطاب العمران
وفلاسفة طبائع البشر بما شاء من دليل وحجة وبرهان .

لتسلم جدلاً — ولو بالباطل — ان في عصور العصب والغباوة والجهل كانت الديانات
جرثومة العداوات وارومة الحروب والثورات ولولاها كان الناس في نعيم مقيم وأمن
مكين !! لا بأس عليهم ولا هم يحزنون !!!

ثم تعالوا بنا الى هذا العصر الحديث عصر التساهل والكياسة والعلم عصر الحضارة
والتمدن والنور عصر الحرية والمساواة والاخاء ولتقف مسائلين هل خلت أئمة
الاعرق حضارة والاى في المدنية كعباً من فتن تثار وحروب تلى واطماع تسود
وشرور تنفأ ؟؟

ام هل من علاقة للاديان بحرب يروصيا مع النما (سنة ١٨٦٦) او حرب المانيا
مع فرنسا (سنة ١٨٧٠) او حرب الانكليز مع الترنسفال واليابان مع الصين وروصيا
مع اليابان والبغار مع الصرب في خواتم القرن التاسع عشر وفواتح القرن
العشرين ؟؟ كلا ثم كلا

فليصمت اذن اولئك الذين يتلظفون بتلك السفاسف والترهات تغريراً بالسذج
وتقويها على الاغبياء ولجعلوا ان الاعتقاد بمبدع حكيم يحزي ويثيب مع الاحتفاظ
بتاعدة « من دينك واحترم دين سواك » هو عماد السلام وركن التهذيب ومصدر
الآداب ومظهر الوثام والتهاب : فكيف لا يتي الله اولو الالباب !!!

أجل ان في تسود العقائد المبينة على التنزيل والوحي وسلامتها من الشوائب والحشو
وتنزها عن الخرافات واللغو وترفع اولياها عن التشيع الشائن والنصب الضار والتعامل
الذميم يستتب النظام ويسود السلام وتسعد الانام لا بقول المعري

أأترك هاهنا الصبية عمداً لما وعدوه من عسل وخمر

فموت ثم بعث ثم حشر حديث خرافة يام عمر و

او قوله : اثنان اهل الارض ذو عقل يلا دين وآخر دين لا عقل له

فان هذا الفيلسوف الشاعر الفريير هين الحبسين — حبس العبي وحبس البيت — بعد
ان اوحى اليه خياله الواسع ما اوحى فباح بما هذر وجاهر بانه كفر مطاوعة لما يستولي على
امثاله من اعراض السوداء عاد اليه بعض رشده فاستحوذ عليه الشك وخامره التردد
والريب فقال متوجساً لعقابه حاسباً حساب أخرا

في القدس قامت ضجة ما بين احمد والمسيح

هذا بناقوس بدق — وذا بماذنة يصيح

كل يؤيد دينه ياليت شعري ما الصحيح

ثم لم يمت الا على دين آباءه كما حقق الثقاة من معاصريه خلافاً لمن يتخذون اقواله حجة يؤيدون بها مذاهب التعطيل ويذيعونها بين الناطقين بالضاد مدام الله

ذلك ما رأينا اثباته استطراداً في هذا التمهيد كبحاً لجماح من ملأوا الدنيا زيافاً

تشيعاً لاصحاب تلك الاضاليل ممن يتوهمون السراب شراباً والحبة قبة وما هوون ما

تخدعهم الزخارف والاباطيل ان ربك لبالمرصاد وهيئات ان يفلح حزب الفساد مدام

للصلاح فئة من اعلام يعملون هم في الظلمات مشكاة وفي الجاهل والمعاشر هداة وما على

منفق جهده من جناح ولا الى تأنيبه من سبيل

« عود على بدء »

قلنا ان الاعتقاد بالجنان قلما خلت منه امة في غير الازمان ومصادقاً لذلك

نقول الآن

ورد في ميشولوجيا الهندوان ارواحاً شريرة اسمها « رقشاشة » ومعنى هذا الاسم الجبارة

خلقت قبل الجو والحيوانات وهي ترصد الآجام والمقايروتنالهي بانارة الموق من اجدانهم

والشرش بهم . تأكل لحوم الاحياء من البشر وتشرب دمآهم وتتخذ لها صوراً مختلفة

واشكالاً متباينة ثم هي لاتزال حاضرة عند مقدمة القرايين وذبح الضحايا للآله لكي

تفسد على الناس شعائرهم وتغري المعبودات برذ تلك القرايين ورذل مقدميها : من اجل

ذلك بعدد ما الهند اشد ضرراً على البشر من سائر الجن

وقد ذكر في الكتب السانسكريتية القديمة المحفوظة في هياكل الصين وكوريا وسيلان

وسائر امهات المدن المنتشرة في الشرق الاقصى الفاضة باتباع « برهما » و « بوذة »

من ذوي الجنس الاصفر ان التساك وخدمة الدين طالما استعجدها القوى العلوية لاجابة

من شرور هذا الصنف الغادر من الجن الكثير العدد وهو مع ذلك لايزال يزد غواً

وانتشاراً بزيادة عداد من يموتون من الائمة اصحاب الكبر لان ارواح هؤلاء تكون

الى زمن من نوع « الرقشاشة » واشهر هذه الفئة الباغية المنقسمة الى فرق ومراتب

انما هي « رافانا »

وليتك تدري ما « رافانا » انما هي روح شريرة زائدة الفحة والجرأة كثير المطامع والشهوات

حتى انه زين له في بعض الازمنة ان يخضع الارض ومن عليها والهاوية ومن فيها والسموات ومن فوقها الى حكمه وسلطانه ويجعل الكيان المطلق عبداً خادماً لرغائيه وما ربه ونزعاته فتدادى جوراً وعسفاً وزاد بغياً وطغياً حتى أتت من حيف، الارض وشكت ظلم الافلاك واستولى الرعب على قلوب المعبودات في اخدارها والملك في عروشهم وكان موطن هذا الجني الخبيث في ذلك الزمان « لافكا » عاصمة جزيرة سيلان

فساء « وشنو »^(١) العظيم هذا الامر الجلل ورأى ان يتجسد ثانية لينقذ الاكوان ومعبوداتها من شر هذا الطاغية ويرد الى المخلوقات طمأنينتها وسلامها فتجسد في الجهة المقابلة من الهند في صورة « راماشندرا بن داسرتاملك ابوذيا من امرأته كساليا »

(١) ان وشنو هذا تجسد على زعمهم ثلاث مرات : الاولى اراد بها تخليص البراهمة من جور الكشترية اي اهل السيادة والحرب من الهنود الذين صاروا يعطلون الشعائر الدينية ويمتهنون خدمة الدين « البراهمة » فتجسد في مظهر ابن ناسك متعبد اسمه « جامادغني » ثم سمي « باراسوراما » ومعناه راما ذو الفأس نجح في آثار الكشترية حتى اباد ذكورهم ولكنه استحميا اناتهم ليتزوجن البراهمة فيجاء بهن نسل الحريين : الثانية هي التي تكلمنا عنها في المتن والمقصود منها انفاذ المعبودات من جور « رافانا » كما علمت وكان اسمه اذ ذلك « تشندرا » ومعناه القمر : الثالثة وغاية، منها ادخال الفنون الزراعية الى البلاد وقد سمي بها « راما » واتخذ رايته المحراث وبعد ان علم الاهلين اصول الفلاحة عرج مع امرأته « ستيا » الى السماء . ويقال ان راما هذا هو نفس « باخوس » عند اليونان و « رعما » المذكور في سفر التكوين بين مواليد « كوش » و يزعم بعض علماء الانكليز ان « راما » في تجسدهاته الثلاثة ان هو الا شخص واحد ظهر في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد وعبر عنه في التوراة باسم « رعما » وان اتحاده مع ملك القروود الوارد في المتن ايماء الى اتفاق، مع سكان الهند الجنوبية المتوحشين على فتح جزيرة سيلان لان اولئك السكان كانوا يسمون زمانئذ القروود وان « رافانا » يراد به طاغية من البشر كان مالكاً جزيرة سيلان وحدثته نفسه بالاستيلاء على بلاد الهند كافة فعات وسطا حتى سلط عليه « رعما الهندي » فتوالت مع ملك متوحشي الهند على قتله واستخلاص سيلان منه . واخبار « راما » مدونة في قصيدة تشتمل على خمسة وعشرين الف بيت او دو بيت تسمى « رامايانا » نظمت باللغة السانسكريتية المقدسة وترجمت مراراً الى اللغة الهندية الحديثة والى بعض لغات اوربا

وبعد ان اتحد مع «سوغربا»^(١) ملك طائفة القروود على الاقبح برافانا مضيا الى الارخبيل الفاصل بين جزيرة ميلان والبر والقبائل هناك جسراً من الصخر اجتازاه الى الجزيرة ثم باسرا القتال مع «رافانا» فلم يثبت الخيل امام المعبود المتجسد وحليفه !!! فـقط بين ايديهما هالكاً غير مأسوف عليه

والرومانيون يقولون انه يوجد عذراء من الجن كانت تقيم في غابة اسمها «اريسيا» على مقربة من رومية عاصمة الرومان وتدعى تلك العذراء «اييجيريا» وان احد ملوكهم «تومابوميلوس» اتخذها له زوجة فكانت تساعد على قهر الامم المتوحشة وادخالها في ربة الطاعة له والانضواء الى عرشه وتشاركه في حل ما اعضل عليه من المشكلات . فلما مات زوجها جرعت عليه اشد الجزع ولجأت الى تلك الغابة معتزلة حيث كانت تجلس في حضيض جبل ذارفة دموعاً سخية بلا انقطاع فاحزن حالها «ديانا» الهة الصيد فرأت ان تحولها الى عين ماء نضاجة لا ينضب ينبوعها فسميت عندئذ «عذراء العيون» وشيد بحوارها مياكل للعبادة كانت النساء الرومانيات يقصدنها بنذورهن الثمينة في مواسم معلومة مخففات لها اعياداً يحتفلن بها احتفالاً كبيراً لأنها كانت تحفظن عند الولادات وتصون مواليدهن من سائر الجن . ولمدينة رومية جني خاص اقام له قدماء الرومانيين تمثالاً من ذهب

والجرمانيون ومنهم البروسيون وسائر الالمان وكثيرون من التابعين للعرش النمساوي يزعمون ان ليلاه جناً يطلق عليها اسم «اليفنة» ويدعوها الانكليز «مرميده» واهل شمالي اوروبا «نكسن»

قال سكان سواحل البلطيك انها تظهر على شكل الخيل على مقربة من ثغور البحار وتداعب من يخرجون في القمراء للزهوة والسمر في تلك الشواطئ وكثيراً ما اخافتهم . اما الالمانيون فيقولون انها تقيم في نهر «البي» وانها اطرف من جن بحر البلطيك وقد تخرج احبائاً من الماء في ليالي الشتاء وتقصد النار التي يتركها رعاة المواشي لتسند في بها . وقد طالما نظرت هناك بهيئة نساء جميلات مستترات بشبه براقع لهن وجوه زهر وشعور شقر تسترسل على اكتافهن . وقد بعشق بعضهن الرجال فيخلصن الحب لمن كان وفياً منهم ويساعدنه في ميادين الحرب ويقين شخصه بنفوسهن من سهام العدو ولا تنفك احداهن مولمة بن تهوى مرافقة له ساهرة على مصالحته وراحته متحملة معه

(١) يذهب المتأخرون من العلماء ان هذا هو نفس «بعلوس» المذكور في التوراة

ما يكابده من برحائه وضرائه حتى الموت . ولكن اذا خانها ولو مرة ذهبت به الى شاطئ البحر او ضفة النهر وجذبته بمنتهى قوتها الى اللجة فتجثته غرقاً !!! وهي عني ما يقولون ذات صوت غريد مطرب هو - في زعمهم - مصدر حفيف الغابات وخرير الانهار الذي يؤنس الحزين ويسلي الغرب وكان القدماء من اهالي اوربا الشمالية اذا ارادوا استالة تلك الجن طرحوا في البحار والانهار ثاراً وازهاراً وذهباً ولؤلؤاً وعطراً وطيباً استعطافاً لها وقد وجدوا سيف بحيرة « تولوز » اشياء كثيرة مما كانت يستعطف بها سكان فرنسا القديمة تلك الجنيات الحسان اللواتي يشبهن في بعض امورهن بنات الماء اللواتي ذكرهن الدميري في كتابه « حيوه الحيوان »

ومن اغرب ما رواه المؤرخون ان « سيبون » الروماني لما فتح مدينة « تولوز » وجد في بحيرتها من الذهب ما وزنه مئة الف « ليبرة » ومن الفضة مثله فاستأثر بها وقد تحقق ان الغالين القدماء اجداد سكان جنوبي فرنسا الآن كانوا يرفعون تلك الجنيات الحسان الى مصاف الآلهة ولذلك اشتد حنق التولوزيين على من خرق حرمة بحيرتهم سالبا حليهن وكوزهن كما فعلنا وربما كان هن في بلادهم غير الاسماء الثلاثة التي ذكرناها قبل

اما السكندنافيون وهم اهل « اسوج » او السويد و « نروج » و « هولاندة » او الفلمنك و « الدانمارك » فيعتقدون بوجود جن اسمها « الفة » او « الفر » وهي حاذقة لينة ذكية عالة ونفسهم عندهم الى فتنين

احداها تعرف بالجن الصالحة ويقال لها جن النار او جن النور تقيم في بلاد الغيم التي يتولاها صاحب الشمس لها وجوه تلمع كالصباح وعيون اجمل من الكواكب وشعر ذهبي يروق مراء للناظرين والثانية تعرف بالجن الهائلة وتسمى عندهم « سفورت الفار » وهي عدوة للنور واشد سواداً من الزفت ذات منظر كره ونقاط طبع شنيعة واعضاء مشوهة ولا تسكن الا في باطن الارض

واهل القرون المتوسطة من سكان هذه الممالك السكندنافية كانوا يزعمون ان هذه الجن الارضية تحتطف اطفالاً من اسرتها واذا احبت احداً من اهلها ذهبت به الى موطنها تتلذذ بمداعبه ولا تدع له سبيلاً الى تركها والعود الى بلاده : وهم يوقنون كل اليقين ان ملكتهم خطفت السيد « توماس السيدون » الملقب بالشاعر الى حماها وحجرت عليه

في صرح لها سبع سنين كان فيه تمثال غرامها وكعبة هيامها وهي على مايرثاوت لطيفة المعاني حسنة الطلعة تسج لها اقصه وحللا من نور القمر وتعم بمامة في اعلاها جرس وتحتذي برجليها الكافور تبين زجاجاً رقيقاً نقياً شفافاً فاذا عثر انسان عند انفلاق الصبح على حذاء او جرس مما تلبسه تلك الجنيات الرائعات المحاسن ملقى على العشب نال من التي فقدته كل ما يتمناه

وهي تشو غالباً في كهوف الجبال تعيش فيها كسائر الناس وتصرف الوقت بمطالعة الاشعار وانشيد الآلهة وكتب التاريخ وبشطريق الذهب والفضة والاخبار عن مستقبلات الشؤون متخذة لها حلياً من الياقوت والزمرد وكبار اللآلي . ومتى بدت تبشير الربيع تزايد تلك الكهوف والمناور منجولة في جوانب الجبال استنشاقاً للهواء العطر والنسيم البليل . وقد تسلق الاشجار لتعطف منها الازهار والثمار اولت راقب من يمر على مقربة منها حتى اذا اقبل الليل تجتمع في الحنول متماسكات بالايدي كالحلقة التي تولفها نساؤنا ليحلون العروس ثم تأخذ في الرقص والغناء في ضوء القمر . وقد ترعى ماشيتها على ضفاف الانهر ولا تزال تلك حالها حتى يعاودها الشتاء

ومع ان « الافة » غير منظورة فالمولودون ايام الاحاد يمكنهم ان يروها . وهي على نخافتها وجمالها ولطف بنيتها لاسان القوة ما يمكنها من حمل اثقل الصخور واكبرها حجماً ماشية به مسافات طويلة واذا لمست بيتاً هزته وزعزعته من اسسه ولوشاءت لجلت يدها رجلاً وسارت به ركضاً ولا تبالي . وهي تحب غالباً شجر البلسان والزيزفون والخور الرومي فمن احب ان يراها من مواليده يوم الاحد بقصد من تلك الاشجار ما كان منها في سفوح الجبال يجدها تغني على قيثارها العازف تحت رواق ظلها الوارف

وكان لها في بلاد الانكليز وسكوتلاندة ملك ومملكة وكانت جزيرتا « سترن » و « روجن » في بحر البلطيك تحت سلطانهما وقد شوهد هذا الملك يوماً في مركبة يجرها اربعة افراس ويستدلون على تجوله في مملكته المترامية الاطراف بصهيل الخيل وسواد الماء والضوضاء التي يحدشها اعوانه في طيقات الهواء

واليونانيون القدماء يقولون ان « اغينور » ملك فينيقية تزوج بالجنية « ميلي » فولدت له « اوروبا »^(١) فقتلت ذات جمال فتان وبياض ناصع فشغف بها المشتري وتمثل لها بصورة ثور وتزلف اليها كثيراً حتى ركبه طمعاً بلين قياده فاسرع وهي على متنه نحو

(١) معناه التعجبة وبها سميت احدى القارات الخمس على مذهب اكثر الجغرافيين

البحر وسبح بها الى جزيرة « كريت » وهناك اتخذها زوجة فاولدها خمسة صبيان وثلاث بنات وكلهم اقموا مدناً وانشأوا قبائل وعلى هذا يكون الكريتيون من سلالة الثيران والجن فلا عجب اذا كانت نيران فتنهم لا تطفأ وحركات ثوراتهم لا تسكن

والروسيون الاقدمون يزعمون ان « الفامبيره » فريق من الجن يسكنون القبور وهم يهيمون ليلاً من المدافن . متفرقين على منازل الاحياء حال نيامهم فيمتصون دماهم .
 « ران » الديموفوي « جني البيوت يترأى للنساء حال انفرادهن وان في الانهار عفاريت تدعى « فور يانوي » وفي الغابات ابالة اسمها « الياسنك » والسلافيون يدعون ان للجن الهاً خاصاً يسمونه « وتشرونوبوغ » اى الاله الاسود وللشعر الهاً آخر اسمه « بياليوغ » اى الاله الابيض

واهل جبال « البريني » او « البرانس » يعتقدون ان الجن مقيمة في النجوم التي تغشى ذروات جبالهم وعلى ضفاف الانهار الحافلة بالاشجار ولهم فيها اقايصص طويلة وروايات غريبة لا يحتمل المقام سردها واستيفاءها

واهالي جزائر « ملدبف » يقولون انه كان يجيئهم في وقت معلوم من ناحية البحر جني كأنه مركب مملوء بالقتاديل فلا ينجون من شره الا باعطائه فتاة بكرة يتركونها له في بيت الاصنام ثم يصبحون فيجدونها مهشوة ميتة فاتفق ان زار مدينتهم رجل صالح بدعى ابو البركات البربري فلما حان زمان مجيئ الجن اخذت النساء يكيكن وينسدين فسلطن عن السبب فقالت له عجوز منهن ان لها بنتاً وحيدة بارعة في الجمال اصابتها القرعة بحسب القاعدة الجارية في المدينة وستكون في الغد ضحية للجن فيقال انا انوب عنها ثم ذهب الى بيت الاصنام متخفياً واخذ يتلو القرآن العزيز فلما سمع الجن تلاوته غاص في البحر ولم يعد بعد

قال ابن بطوطة في رحلته ان هذه الحادثة كانت سبباً لدخول اهالي تلك الجزائر في الاسلام وهي يد كبرى تعد لابي البركات المشهور بصلاحه على اولئك الوثنيين واليونانيون يثبتون ان عذارى من الجن اعتنيت بتربية « جو بتير » وهو طفل فاهدى اليهن قرن الخصب وهو احد قرني العنزة التي رضع لبنها عندهن

وهم يسمون الجن الى ثلث رتب يرفعون الاولى منها الى مقام المعبودات وجدها الاعلى عندهم « اجنيوس » بالاسان الروماني القديم وهو شخص « زفس » او « جو بتير » وهي تنقسم الى ثلث اقبائل منها « البانة » و « الفونة » و « والسائيرة » و « النيفة »

والرتبة الثانية نوابغ كل شعب وكل مدينة وكل محلة وهم يعتقدون ان موالي هذه
الرتبة يولدون ويموتون كسائر الاحياء غير ان حياتهم تستغرق الوفا من السنين
والرتبة الثالثة نوابغ كل شخص بمفرده وهم الذين يتولون امور الافراد ويؤثرون
في جميع احوالهم من معاشهم وعواطفهم وحوادثهم وامراضهم . وللنساء نوابغ خاصة
يسمونهن « جونون »

قال « سرفيوس » متى ولد الانسان يسخر له تابعان من الجن احدهما يرشده الى
ما به الخير والآخر يميل به الى طرق الشر

وقال « ابوليوس » ان النفس البشرية ذاتها تقول بعد نجاتها بالموت من هبولاها
الى الجن فان كانت حيوة صاحبها سالحة دخلت في عداد الجن الايسر وبقيت في البيت
لحماية ساكنيه وان كانت شريرة سميت « لارفة » اي عفريتاً او جنياً خبيثاً فلا تستقر
في مكان واحد ويكون دأبها الاخافة والتهويل والقآء الرعب بين البشر والوسوسة
والنزغ في الصدور امالة باربائها الى الاضرار والافساد وارتكاب المنكر

وقال « خريسيوس » عن امثال هذه الارواح الشريرة انها تائهة في جوانب المعمور
تستخدمها الالهة للاقتصاص من الائمة الظالمين ولتزيين الشر في اعين الصلحاء المتقين
وهي اصناف منها « لارفة » و « مائة » و « ليورة » ويراد بها كلها ارواح الموتى الانرار
وقد وجد على ابنية القبور عدة تماثيل ورسوم محفورة تشخص بها تلك الارواح
بهية الجن

وكانوا يزعمون ان في وسعها اسعاد من تحميمهم ولذلك قال احد العرافين لانتونيوس
— عاشق كليوباترا المشهور واحد قواد اسكندر الكبير ومقتسى ملكه — ان تابعه يخشى
بأس تابع اوغسطس فيصر فهو لا يجرأ على الاضرار باوغسطس مادام تابعه يحميمه
ويدود عن حوضه

وكان اليونان والرومان عن بكرة ابهم يقدمون في اعياد مواليهم نذوراً للصالحين
من تابعيهم زهراً وبخوراً وخمراً يضعونها على ضفاف الجداول وتحت ظلال الاشجار في
الغابات تكرمه وزلني ولو استوفينا كل ماورد عن هاتين الامتين سيفي اعصرهما الخرافية
مما يتعلق بموضوعنا لطلال بنا المطال وضافت عن استيعابه الرسائل يدان فيها ذكرناه
عنهما غنى وكفاية

اما الفرس فيعتقدون انه يحكم العالم روحان متضادان متخاضمان احدهما صالح وهو

«اورمزد» والآخري شرير اسمه «اهرمين» وهذان الروحان في خصام دائم ومن غلبة الواحد على الآخر ينتج تداول الخير والشر والنور والظلام والليل والنهار في كل يوم. وما الجن الا خدمة «اهرمين» وحاشيته وسيأتي يوم يظهر فيه ثلاثة انبياء يقولون جيوش «اهرمين» ويطلقون اعماله فلا يبقى جني على الارض فيعيش الناس في سعادة كاملة وسلام دائم يتكلمون بلسان واحد ويعيشون متحدين على نمط واحد ووقيرة واحدة وهو الآلهة الثلاثة انبياء سيولدون من «نطفة محفوظة في بنبوع ماء صغير لم يهتد الى مكانه بعد»

وهذا الاعتقاد الثنائي مستفيض في الشرق منذ القدم حتى انه يظهر بالتتابع والاستقرار التقليدي انه كان على عهد عيلام بن سام بن نوح الذي منه تشعب الفرس وقد سرى الى عدة شعوب ونحل وبدع في القرون الاولى واصبح ركناً بني عليه مذهب «ماني» الموسوس الفارسي كما لا يفترب عن كل مطلع على تاريخ هذه الامة

وقد زعم الفرس ايضا ان للجن مملكة خاصة اسمها عندهم «جنستان» اي بلاد الجن ويقولون انها واقعة في الطرف الغربي من افرقية وقد طالما سماها بعض شعرائهم بارض المردة والقفاريت اما العبرانيون والفيثيون والكلدانيون القدماء فيقولون ان الجن تدخل في البشر فتباليهم بالجنون وهي تسكن الارض وتترأى للناس بهيئات مختلفة حتى انها تتلبس باشكال الحيوانات وتستخدمها السحرة والعرافون للاباء بالغيبات وكشف المستورات وكل هؤلاء الامم يعتقدون كالعرب بالقرينة والتابعة والكمهانة والسحر ومن يرجع الى تواريخهم يجدوها طائفة باخبار واقاصيص تدل على رسوخ هذا الاعتقاد فيهم منذ قرونهم الاولى شأنهم في ذلك شأن سائر الامم الشرقية سواء

اما المصريون فقد كانوا يهبون جني نهر النيل في كل عام عروساً حسناً من فتياتهم استرضاء له واستمداداً لفيضه ويحلمون الحيات والهررة وغيرها آلهة وانصاف آلهة متخذين العجل «آيس» اعظم معبود لهم بناء على كون الزراعة ركن معاشهم وقوام رزقهم في بلادهم فهم يكرمونه ويخصونه بانفضل انواع العبادات ليمد الثيران من سائر بني جنسه بقوة من عنده تكفيهم مؤونة الحرث والفلاحة التي لم يجدوا اليها سبيلاً سيفي تلك الازمنة الا بتسخير البقر

ومع ان الاقدمين منهم كانوا في طليعة غيرهم من الامم علماً ومدنية وتهذيباً كانت عقائدهم الخرافية في غاية السخف وقد زادهم فيها استرسالا اجتياح اليونان ثم الرومان

لبلائهم واستيلاً وُهم عليها ردياً من الدهر إذ قد اضيف ما عند هؤلاء من مضحكات العقائد ومبكياتها الى ما عندهم منها حتى أصبحت مزيجاً جامعاً ما لم تجعه امة قبل ولا بعد هذا مجمل ماورد متفرقاً في اسفار السلف واساطيرهم — من كل امة ونحلة — يرهاناً على كون الاعتقاد بالارواح الخفية كالجن والعقاريت والمردة انما هو مرافق حيرة البشر في قرونهم الاولى من كل جيل وجنس ومذهب ولكن على انحاء متضاربة ووجوه متباعدة واختلاف كثير في وصفها وتكييفها وتعيين قواها وطبيعتها وتحديد ماهيتها ومراتب تأثيرها في اعمال الخلق وشؤونهم الى غير ذلك مما لم يقع عليه الاجماع التام بين شعب وشعب وامة وامة

ومما يجب التنبيه اليه انه قام في كل صقع وبين كل قوم رجال افذاذ من ابناء العصور النائرة قائلين بما يقوله اليوم أكثر علماء الغربيين وبعض الشرقيين من ان هذه الارواح — الضارة — لا وجود لها الا في تخيلات الناس واهامهم يبعثهم على تصورهما والجزم بوجودهما ما يتعارف من الاماني والخاوف والانفعالات المتناقضة فيما يعرض لهم من احوال هذه الحيوة الدنيا الكثيرة الكوارث والشجون مضاعفاً الى ذلك ما بتوارثونه من عقائد الآباء ويتأقلونه خلقاً عن سلف من ترهات وعجائزيات قد اعان على تبنيها في اذهانهم ما سدلله الجهل على بصائرهم من كثيف الحجب في اعصر الظلمات ولا سيما اثناء القرون الوسطى التي استحكمت فيها المنازعات الدينية والاحن المذهبية — مسببة عن اطاع الملوك — حتى البست الارض ارجواناً من الدم

فما بدأ يتفجر في افق العالم الغربي نور العلم الصحيح المبني على التثبت والاستقراء الحسي حتى اخذ يتقلص في تلك الاصقاع نلل الاعتقاد بوجود ارواح تتأثر بتي الانسان متداخلة في امورهم ومصائرهم فاعلة في شواغهم وهواجهم ضاغطة على حركاتهم وسكناتهم في معاشهم وموتهم فكان ذلك في اواسط القرن الثامن عشر حتى اذا اشرف على القرن العشرين من نافذة الدهر تلاشى او كاد مذهب من يرى ان في العالم المحجوب قوة تناوئ ارادة الله وتناهض عبادته كما يزعم الثنائيون من الامم ومعظم المتدينين من الفلاسفة والمفكرين في ايامنا هذه يذهبون الى انه قبل انقضاء هذا القرن قد لا يبقى على وجه البسيطة من يصدق بوجود فاعل فوق الطبيعة غير الحق عز وجل وهو سبحانه اعلم بما يتخرون

دمشق

«سليم غنغوري»

